الفضاء التدوِيني العربي واستراتيجيات بناء الذات وسردها

د.نصر الدين لعياضي
أستاذ مشارك بكلية الاتصال،
جامعة الشارقة- الإمارات العربية المتحدة

مقدمة:

نعتقد أن التدوّين Bloging كان فاتحة الاهتمام العلمي بتطبيقات الجيل الثاني من الواب Web٢ في المنطقة العربية. فالكثير من الدراسات والبحوث حول الانترنت في المنطقة العربية، سواء تلك التي أنجزها أشخاص أو هيئات عربية وأجنبية أولت اهتماما كبيرا بظاهرة التدوّين، بيد أنها ركزت على المدوّنات بذاتها ، وليس لذاتها؛ أي أنها نظرت إلى التدوّين كفعل سياسي، يندرج ضمن الهاجس الكبير المرتبط بحرية التعبير والإعلام، وتأسيس أشكال جديدة للاتصال السياسي، والممارسة الديمقراطية في المجتمعات العربية. ويتناغم هذا الاهتمام مع الأطروحات الرائجة في العالم المعاصر التي تجعل من ناشطي الشبكات الاجتماعية الافتراضية جماعاتّ ضاغطة، ومؤثرة في الحياة السياسية أو صناع « الديمقراطية» الرقمية.
الكثير من العوامل الموضوعية والذاتية فرضت هذا الهاجس في الحياة العامة في المنطقة العربية، في منتصف العقد الأول من الألفية الحالية، و في الأوساط الإعلامية والجامعية. لعل أبرزها يكمن في الحاجة لتجاوز احتكار الدول للقنوات الإعلامية ووسائل التعبير، وضمور ثقة المواطن في المنطقة العربية في مختلف وسائل الإعلام الرسمية، والسعي لرفع وصاية السلطات العمومية على اختيار المواطن في مجال الإعلام والثقافة، والنشاط من اجل انتزاع حرية التعبير وترسيخها في الحياة العامة. ومحاولة ترسيخ « فضاء عمومي» يختلف في أسسه وطرقه التنظيمية عن ذاك الذي حاولت تشكيله وسائل الإعلام الرسمية. ويرى بعض المتابعين لظاهرة التدوّين في المنطقة العربية في هذا العامل مصدر قوة المدوّنات الإلكترونية العربية، وتثمين دورها مقارنة بالدور الذي تلعبه في الغرب الذي تتمتع فيه وسائل الإعلام بهامش أوسع من الحرية.
وما يؤكد هذه الحقيقة ليس تزايد عدد المواطنين الذين اهتموا، بشكل بارز، بما يتم تداوله من معلومات وأراء ومواقف في المدوّنات الإلكترونية فحسب، بل طبيعة المدوّنات التي تزايد عددها تدريجيا، والتي أفصحت عن ميلها للموضوع السياسي. كما تؤكد ذلك نتائج الاستطلاع الذي قام به موقع مكتوب كم، وهو الموقع العربي الأكثر شعبية. لقد جرى هذا الاستطلاع على مدار شهر كامل(يناير ٢٠٠٦)، وشمل ٤٥٠٠ مدوّنة تم إنشاؤها في الموقع المذكور، و بيّن أن ٤٠٪ منها أولت اهتماما كبيرا للمواضيع السياسية.
إذا كان الاهتمام العلمي بهذا الهاجس ضروريا ومشروعا فإن النتائج التي توصلت إليها بعض البحوث التي تجسد هذا الهاجس تثير الكثير من التساؤلات لأنها انصرفت إلى التبشير بتثوير الاتصال، والتغيير في الممارسة السياسية في المنطقة العربية. وبهذا فإنها تختزل الفعل التدوّيني Blogging في بعده السياسي الصرف من جهة. وتقوم بقراءته على ضوء البراديغم Paradigm الوظيفي الذي يمكن أن ينزلق، في غفلة الحذر العلمي، إلى إعادة إنتاج « طوباوية تؤمن بوجود اتصال خارج شرطه الاجتماعي، فتبعث

الحياة في الحتمية التكنولوجية؛ أي فصل الفعل التدوّيني عن سياقه الاجتماعي والسياسي والثقافي، وقراءته انطلاقا من القوة المحايثة الكامنة في العُدّة التكنولوجية التي تجسده.

سنحاول في هذا البحث أن ننأى، إلى حد كبير، عن هذا الهاجس، لأنه من الصعب تجاهل ظلال هذا الهاجس كليا في دراسة التدوّين في المنطقة العربية. لكننا سنركز على الفاعل الاجتماعي في تفاعله مع المدوّنات الإلكترونية Blogs ، والاستراتيجيات التي يتبناها في بناء ذاته أو سردها. فالبعد السياسي الذي يتضمنه الفعل التدوّيني يتحول في هذه الدراسة إلى مجال لبناء الذات.

إشكالية البحث:

تزعم بعض الكتابات الصحفية أن انتشار المدوّنات في الغرب يعود لكونها تجسد اختيارا فرديا. وتفسر عدم انتشارها في الدول العربية، بشكل واسع، بوضع المواطنين في هذه الدول الذين يميلون إلى الانخراط في الجماعة أكثر من تبنيهم لاختيارات خاصة و فردية تخرج عن الإرادة الجماعية والسياق التقليدي العام.

توجد العديد من الحجج التي تفند هذا الزعم، منها الزيادة المضطردة في عدد المدوّنات في المنطقة العربية، والتي تتراوح حسب بعض التقديرات ما بين ٣٥٠ ألف مدوّنة نشيطة تستخدم اللغة العربية و٤٩٠ ألف مدوّنة، وهي نسبة لا تتعدى ٠,٧٪ من مجموع المدوّنات في العالم. وهذا العدد على ضخامته يبدو متواضعا أمام عدد المشتركين في الشبكات الاجتماعية الافتراضية، مثل شبكة الفيسبوكFace Book ، التي بلغ عدد مستخدميها في المنطقة العربية ٢٧٧١١٥٠٣ مشتركا في أبريل ٢٠١١ . لكن الميل إلى استخدام الشبكات الاجتماعية الافتراضية أكثر من المدوّنات الإلكترونية يؤكد توجها عالميا وليس عربيا، لا يسع المقام لذكر مسبباته. فالتدوّين تراجع في الدول الغربية، خاصة لدى شريحة الشباب، إلى درجة أن بعض الباحثين تساءلوا: هل للتدوّين مستقبل.

إن التدوّين الإلكتروني ظاهرة فردية وجماعية في الوقت ذاته، لأنه يشكل همزة وصل بين الأنا والآخرين من خلال متابعة ما تنشره المدوّنات الإلكترونية وما يصلها من تعقيبات وردود. وما تقوم به من تشبيك مع المدوّنات الأخرى والشبكات الاجتماعية الافتراضية. لكن الإشكالية الكبرى التي يثيرها التدوّين تتعلق بالجانب الفردي في هذه الظاهرة لأنها تطرح على بساط النقاش جملة القضايا الاجتماعية والثقافية المرتبطة بمكانة الفرد في الثقافة العربية الإسلامية. فالأنا في وسائل الإعلام العربية المختلفة يأخذ صيغة الجمع، تتجلى، أكثر، في الأنا القومية (المرتبطة بالعرب) والأنا الوطنية (المرتبطة بدولة بعينها)، والأنا الدينية (المرتبطة في الغالب بالإسلام) والأنا القَبَلية في بعض الحالات. ومقابل الأنا، يتجلى الأخر سياسيا ممثلا في الأمريكي تارة، والأوروبي طورا، والإسرائيلي غالبا، والأسيوي في بعض الأحيان فقط. هذا بجانب الأخر الديني ممثلا في اليهودي والمسيحي. وقد يستغل الأخر لجلد الذات الجمعية، أو للدعوة لحمايتها أو للمطالبة بالندية مع الأخر. ومن النادر جدا أن نعثر على الأخر في وسائل الإعلام العربية منتميا إلى ثقافتنا ولغتنا، وديننا. فالأخر هو دائما مختلف، والاختلاف، في نظر هذه الوسائل، يقع دائما خارج الوطن، واللغة والدين. ولعل هذا الأمر يساعدنا على فهم قلة استخدام « البورتري Portrait أو البروفيل Profil، كنوع صحافي قائم بذاته، في وسائل الإعلام العربية المختلفة، لأن هذا النوع الصحفي يشخص الفروق الشخصية.

إذا كان بعض الحاضر مبنيا على الماضي، فإن البحوث الأنثربولوجيا تعزز غياب مفهوم الفرد أو وهنه في الحضارة العربية الإسلامية. فبعض الانتروبولوجين الغربيين، مثل إ. دوتي، يؤكدون أن المغاربة، على سبيل المثال، يدركون بصعوبة كونهم قادرين على التصرف بطريقة مستقلة، ولا يشعرون بالارتياح إلا عندما يكونون مندمجين ضمن جماعة ما. والمجتمع الذي يكون فيه حضور الفرد أقل من الجماعة، يلعب فيه التقليد دورا مهما لاسيما في المجال السياسي.

ويرى الباحث ناصر السوسي: ((أن كلمة الفرد أو المواطنة لا وجود لها في النصوص على مدى عشرة قرون من تاريخ الفكر العربي والمغربي، مقابل كلمة الرعية أو العامة. ومن بين المسائل التي لها دلالة أن كلمة الرعية لا مفرد لها. بطبيعة الحال فغياب الكلمة لا يعني غياب الشيء. فالفرد في الحضارة العربية الإسلامية لا وجود له سوى لدى الشعراء الصعاليك الذين انتفضوا ضد القبيلة، يعني ضد السلطة بحيث أنهم انعزلوا عليها، أو لدى المتصوفة.))

ربما الأمر لا يقتصر على شعراء الصعاليك والمتصوفة، بل يشمل حتى فطاحل الشعراء، مثل أبو الطيب المتنبي، وأبو فراس الحمداني، اللذان لم يعطيا مشروعية للحديث عن الفرد والأنا فحسب، بل عبرا عن نزعة نرجسية أيضا. إنها النرجسية ذاتها التي أصبحت تشكل إحدى مبررات وجود الشبكات الاجتماعية الافتراضية، مثل: الفيس بوك FaceBook، وماي سبيس My Space ، و ليكودلن LinkedIn، وغيرها.

إذا، التفكير في التدوّين لذاته، في المنطقة العربية، يتطلب الانطلاق من وضع الفرد والفردانية في المنطقة العربية، الذي يتسم بنوع من الغموض وحتى التعارض. فمن جهة، يقر البعض(أن الفرد ذاب في القبيلة أو الطائفة أو الدولة حيث لم يستطع أن يتعرَّف إلى ذاته ويستردَّها)، و لم يستطع الفرد أن يتحول إلى قوة مرجعية في الثقافية العربية الإسلامية، كما هو شأن الفلسفة الإغريقية، وفلسفة الإصلاح البروتستانتي. وبالمقابل فإن رفع شأن الجماعة في الثقافة العربية الإسلامية لم يطبع الممارسة الثقافية في المنطقة العربية، على غرار الثقافة الأسيوية. فالدراسة التحليلية المقارنة للإعلانات الأمريكية والكورية، على سبيل المثال، تبيّن أن الثقافة الأولى تؤكد المنافع والميولات والقيم الفردية، بينما تعزز الثقافة الثانية المنافع والقيم الجماعية. ولم تتمكن النزعة الجماعية في الثقافة العربية أن تفرض ذاتها على نمط النظام الرأسمالي على غرار الثقافة اليابانية التي فرضت عليه بعض القيم الجماعية، مثل: الولاء للشركة، وروح الفريق، والإدارة الاستشارية Consultative Management، والنهج التعاوني بين الصناعات، حيث يعتقد الكثيرون أن هذه القيم هي المسؤولة، أساسا، عن المعجزة اليابانية التي قادت التطوير الاقتصادي في اليابان بعد الحرب العالمية الثانية.

وتأسيسا على ما سبق، يمكن أن نسأل كيف يستعمل الفرد، في المنطقة العربية، المدوّنات للبناء ذاته وسردها في كنف هذا الغموض والتعارض في النظرة للفرد؟ فعملية بناء الذات لا تتحقق إلا من خلال العلاقة بالأخر. والتدوّين الإلكتروني، باعتباره ظاهرة فردية وجماعية في آن واحد، كما أسلفنا القول، يستطيع أن يمكن الفرد من هذا البناء ضمن مسعى تفاوضي ضمني بين الفعل الذاتي (كشف الذات) والاكراهات الاجتماعية التي نزعم أنها لم تندثر نهائيا رغم ما يُقال عن الحرية التي ينعم بها المدوّنون في شبكة الانترنت، كما تفصح عنها تمثّلاتهم للتدّوين .

إن السؤال المركزي الذي تتمحور حوله إشكالية هذا البحث يمكن اختصاره فيما يلي: هل يختلف التفاعل الرمزي الافتراضي الذي تتيحه المدوّنات الإلكترونية عن التفاعل الذي يؤسس العلاقات الاجتماعية اليومية في الواقع؟ وهل أن إستراتجية بناء ذات المدوّنين العرب وسردها تختلف عن تلك التي توظف في الأطر التقليدية التي تُبنى فيها العلاقات الاجتماعية وتتطور؟ وما هي مرتكزات إستراتيجية المدوّنين العرب في بناء ذاتهم في مدوناتهم؟

تساؤلات البحث:

١.كيف يتمثّل المدوّنون في المنطقة العربية الفعل التدوّيني الإلكتروني؟

٢.ما هي المعالم البارزة في الإستراتيجية التي يتبناها المدوّنون في الكشف عن ذاتهم؟

٣.هل يمكن قراءة محتوى المدوّنات الإلكترونية التي يمكن اعتبارها سجلا يوميا على ضوء التراث العربي المكتوب في مجال السير الذاتية؟

٤.من المفروض أن بناء ذات المدوّن يتم في الفضاء التدوّيني؛ بمعنى أن هذا البناء لا يتوقف على ما ينشره المدوّن في مدونته فقط، بل يتشكل أيضا، بالنظر إلى رد الفعل على ما ينشره ضمن مسار تفاعلي. فكيف يتجلى هذا التفاعل في صياغة الذات وتعديلها؟

المنهج وأدوات البحث:

لمعالجة هذه الإشكالية استعان الباحث بالمقاربة البنائية Constructive Approach التي تحاول فهم ممارسات مجتمع البحث على ضوء الدلالات الذاتية التي يستخلصها المدوّنون من مشاركتهم في الفعل التدوّيني.

لقد استبعد الباحث من مجتمع بحثه المدوّنات الصادرة باللغات الأجنبية، واكتفى بتلك الصادرة باللغة العربية من جهة، وتتوسل اللغة اللفظية، بدرجة أساسية. وقد أختار لبحثه عينة قصدية قوامها ٤٣ مدوّنة يعتقد أنها تمثل مجتمع البحث رغم تعقداته، حيث شملت مدونات من جل الدول العربية، وأنشأها مدونون من الجنسين ومن مختلف الشرائح العمرية.

وقد استخدم الباحث أداتين أساسيتين في بحثه وهما:

المقابلة مع المدوّنين: وقد تمحورت المقابلات حول المحاور التالية: معلومات عامة شخصية، دوافع إنشاء المدوّنة والنظرة إليها، التفاعل مع الآخرين عبر التدوّين. وقد جرت عبر البريد الإلكتروني والمقابلة المباشرة خلال شهر: من ١٥ أكتوبر إلى ١٥ نوفمبر ٢٠١٠.

التحليل السيميائي للمدونات: لم يكتف الباحث بالمقابلات بل حاول فهم الرموز والعلامات التي تتحرك في النص التدوّيني، وحاول ربطها بما صرح به المدوّنون في المقابلات التي أجريت معهم.

المدوّنون و تمثّلهم للمدونات:

تتقاطع دوافع التهافت على إنشاء مدونات في المنطقة العربية مع تلك التي رصدها الباحث الاجتماعي روكات سباستين Rouquette Sébastien وحصرها في أربعة دوافع، وهي: تقديم شهادة، والكشف عن الذات، وتقديم وجهة نظر أو رأي، والكتابة. لكنها تختلف في بعض التفاصيل الأساسية في المنطقة العربية، حيث يلاحظ أن ٥٣٪ من عينة المدوّنات التي تمت دراستها تكشف أنها أنشئت بهدف التواصل مع بقية المدوّنين. ويتساوى دافع إنشاء مدونات بغرض عرض يوميات المدوّنين، مع التعليق على القضايا الوطنية والدولية بنسبة تصل إلى حوالي ٣٨٪. كما أن نسبة المدوّنين Bloggers الذين أنشئوا مدوناتهم لنشر الأخبار التي لا تلتفت إليها وسائل الإعلام العربية بلغت حوالي ٢٥٪. لعل هذه النسب تكشف جزئيا عن الرغبة في تجاوز نمطية الإعلام الرسمي أو السعي لتقديم إعلام بديل، حيث ساهمت المدوّنات الإلكترونية في نقل الأحداث وتداول الأخبار بالكلمة والصورة والصوت، و تشابكت مع الشبكات الاجتماعية. ففي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى مبادرة المدوّنين التونسيين الذين جمعوا ٤٠٠ سؤال ووجهوه إلى زعيم حركة النهضة التونسية في حوار نشر على شبكة اليوتيب لمدة ٥٠ دقيقة. وقد عبرت الكثير من الأسئلة المطروحة عن هواجس وانشغالات الشباب التونسي لم تبرزها وسائل الإعلام الأجنبية، ولا وسائل الإعلام التونسية رغم الحرية النسبية التي ميزتها بعد إقالة بن علي من الحكم.

تتجلى ملامح الذات وسردها على مستويين: مستوى تمثّل Representation المدوّنات والفعل التدوّيني، ومستوى ممارسة التدوّين التي تكشف عنها عملية التشريح السيميائي للمدونات:

المستوى الأول: يشاطر المدوّنونBloggers في المنطقة العربية التصور العام أو المعنى الشائع common sense عن الفعل التدوّيني، والذي يقرنونه بالحرية. فصاحب مدوّنة نجم سهيل (www.suhail.ws) على سبيل المثال، يؤكد : (أن المدوّنة الإلكترونية توفر لي مجالا للحرية أكبر للتعبير عن أفكاري و آرائي الخاصة). لكن مضمون الحرية في الفضاء التدوّيني في المنطقة العربية لا يُختصر في بعدها السياسي،

على أهميته، بل يرتبط، أيضا، بالتجربة الاجتماعية. فصاحب مدوّنة شبايك(www.shabayek.com/blog/) يرى أن مدوّنته هي عالمه الخاص، يتمتع فيه بحرية كاملة، ويتحكم، بشكل تام، فيما يعرضه ويظهره فيها، والأسلوب المناسب لذلك. وبهذا تبدو المدوّنات الإلكترونية كوسيلة لهندسة علاقة الذات بالأخر اجتماعيا.

ويرى صاحب مدوّنة محَمّد (m7amad.com): ((إن المدوّنة الإلكترونية هي المكان أو المتنفس الذي يلجأ إليه صاحب المدوّنة الإلكترونية للتعبير عما يجول في داخله بغض النظر عن طبيعية الموضوع أو المجال الذي يتحدث فيه.)) ويضيف قائلا ((حسب رأيي، إن المدوّنة الإلكترونية مرآة تعكس الصورة التي يرغب صاحب المدوّنة في إيصالها لزواره))، و((توفر فرصة الإطلاع والتعرف على شخصيات جديدة، وأفكار وتوجهات جديدة ومختلفة.. إضافة إلى العديد من المعلومات الأخبار)). وترى صاحبة مدوّنة « مآرب أخرى» ((أن التدوّين الإلكتروني هو تجاوز الواقع، إذ تؤكد بأنه عملية اختيار طريقة حياة أكثر جودة لي أولاً، ومن ثم لغيري على المدى البعيد.))

يتماهي المدوّنون مع مدوناتهم إلى حد التطابق بحيث تصبح المدوّنة الإلكترونية نسخة من المدوّن، كما تؤكد ذلك صاحبة مدوّنة أنا كده (iamkeda.blogspot.com) حيث تتحدث عن مدونتها بالقول: ((اعتبر مدوّنتي أنا، إنها تقدم حقيقتي التي يخفيها خجلي من الناس، وهدوئي الظاهري... إنها تخرج انفعالاتي المدفونة.)) فالمدوّنة الإلكترونية هي أرضية لبناء الذات، وتروم لتكون أداة علاجية وفي الوقت ذاته تعالج خلل الاتصال في المنطقة العربية الناجم عن نقصه أو انعدامه، والذي لا يتجسد في ضيق هامش حرية التعبير فقط، بل يكتمل بالعزوف عن الإصغاء للأخر. وهذا ما عبرت عنه صاحبة المدوّنة المذكورة بقولها: « إنني أكتب في مدوّنتي لذاتي... حتى أحافظ على توازني النفسي»، وتوضح فكرتها أكثر بالقول أن البعض يعتقد أن ما أنشره في مدوّنتي هي « فشة خلق»، لا يهمه. لكن ما أكتبه يهمني وأحبه. ويرى صاحب مدوّنة marmkamel.blogspot.com أن المدوّنة الإلكترونية:(هي وصلة لنشر ذاتي.)

أما صاحبة مدوّنة (www.domo3.us/blog) فترى أن المدوّنة الإلكترونية:(هي المكان الذي تلجأ إليه لتحقق ذاتها) وتعتبرها ميدانا لاكتساب الخبرة الاجتماعية، حيث تعترف بأن المدوّنة الإلكترونية ساعدتها في حل الكثير من المشاكل، والتعرف على أصدقاء جيدين.)

تتجلى المدوّنات العربية كفضاء رمزي للتواصل، وبناء علاقات اجتماعية، فصاحبة مدوّنة (Reem>s blog) ترى أن المدوّنة هي وسيلة تعبير وتواصل مع العالم. وفي كثير من الأحيان تكون الرغبة في التواصل هي الأساس بصرف النظر عن محتوى أو مادة التواصل. والدليل على ذلك ما كشفت عنه صاحبة مدوّنة Wafaliza.maktooblog.com التي أكدت للباحث أنها فتحت منذ مدة قصيرة المدوّنة المذكورة فبلغ عدد زوارها ١٣٩٩ زائرا دون أن تنشر فيها أي مادة!

وترى صاحبة مدوّنة هادية (www.hadya.ws/blog) أن مدونتها الإلكترونية هي المقهى الذي تلتقي فيه أصدقاء يشاركونها الاهتمامات والأفكار والمبادئ والرؤى. وهي المكان الذي تحب أن تعبر فيه عن نفسها، وتوصل أفكارها لأوسع مدى وبأفضل صورة.

يتصور بعض المدوّنين أن المدوّنات في المنطقة العربية هي منابر إعلامية وصحيفة بديلة، فنجم سهيل يرى أن المدوّنة الإلكترونية هي مجال لنشر مقالاته الصحفية. وكذلك الأمر بالنسبة لصحابة مدوّنة (.www lubnablog.net) التي ترى أن المدوّنة هي موقع لنشر الأخبار أو قراءة تلك التي لا تهتم بها وسائل الإعلام الكلاسيكية، وللتفاعل حول قضايا تهم الأمة والمجتمع، بشكل مركز ومفصل.

بعض المدوّنين الذين ينتمون إلى عالم الكتابة يرون أن المدوّنات تعدا امتدادا لنشاطهم وهوياتهم. فصاحبة مدوّنة noor-alhuda76.maktoobblog.com ترى في المدوّنة الإلكترونية منبرا لنشر المواضيع الصحافية

التي أنجزتها ولم تنشر في الصحف لسبب أو آخر.

ويقول صاحب مدوّنة « ما بدا لي» بدأت التدوّين لدوافع عديدة ، منها كتابة اليوميات الذاتية، وللكتابة بحرية أكثر خارج قيود وضوابط الكتابة الصحفية التقليدية أو قيود مكان النشر، وفقدان الحماسة للكتابة في المنتديات الحوارية أو المجموعات البريدية، فكلا منهما محكوم أيضا بضوابط ما أو موضوعات محددة للكتابة.

ويرى صاحب مدون قمراي (m22h.blogspot.com) أن المدوّنة تسمح له بممارسة هوياته المفضلة: كتابة القصة، الشعر، الخواطر الأدبية.

قد يبرر البعض إنشاء المدوّنات في المنطقة العربية بنشر أشعارهم، وقصصهم، وخواطرهم الأدبية، وحتى روايتهم. لتعذر نشرها ورقيا في كتب أو حتى في دوريات أدبية لندرتها أو قلتها، أو يعبروا عن نزعتهم التمردية على المؤسسة الأدبية الرسمية، التي فرضت موضوعاتها، ولغتها، وأسلوبها، وذوقها الجمالي. إن الاكتفاء بهذا التبرير يرسخ، رغم وجاهته، الرؤية الأداتية للمدونات (تحويلها إلى مجرد أداة فقط).

فالمدوّنات بالنسبة لبعض المدوّنين في المنطقة العربية هي « حقل لتجريب الأنا» وهذا ما تعبر عنه صاحبة مدوّنة سلوى (www.salwa.ws) قائلة: إن المدوّنة تعطيني مزيدا من الثقة. وتؤكد المدوّنة والشاعرة وفاء خلفان أنها تعرف بعض الكاتبات لجأن إلى المدوّنات لنشر قصصهن وأشعارهن بأسماء مستعارة لمعرفة رد الفعل على إنتاجهن. وبعد التأكد من أن مستوى كتابتهن جيد أو مقبول يبرزن في « الفضاء العام» كشاعرات أو قاصات بأسمائهن الحقيقية أو المستعارة. لقد تحولت بعض المدوّنات إلى مختبرات للكتابة الأدبية بدون سابق إصرار وترصد. ويعترف المدوّن سعد الهاشمي: لقد وجدت الكثير من أشعاري وكتاباتي منقولة في المدوّنات الإلكترونية والمنتديات ، واستطاعت مدوّنتي أن تجذب انتباه بعض نقاد الشعر وعشاقه إلى ما أكتب، وكانت للتعليقات التي تلقيتها دور كبيرٌ في جذبي لعالم الكتابة أكثر فأكثر.

لقد ظهرت بعض المدوّنات إلى الوجود محملة بهواجس الذات الداخلية و بـــ «تذويت» العالم الخارجي بلغة قريبة من نبض الشارع، ومختلفة عن أشكال التعبير الأدبي. واكتملت التجربة بإصدار رواية ورقية، على غرار رواية أرز باللبن لشخصين لرحاب بسام، صاحبة مدوّنة حواديت، و»عايزه اتجوز» لغادة عبد العال، صاحبة المدوّنة التي تحمل العنوان ذاته. ورواية أما هذه.... فرقصتي أنا لغادة محمد محمود، صاحبة مدوّنة مع نفسي.

و بجانب هذا وجد بعض الكتاب والشعراء في المدوّنات رافدا جديدا للترويج لإنتاجهم الأدبي، وتوسيع دائرة نشره.

تكشف المدوّنات غير المتخصصة أنها فضاء لصقل التعبير الشخصي الذي يتراوح بين الحديث المفرط عن الأنا وصولا إلى سرد التفاصيل الحميمية إلى حد معين (سنوضع لاحقا لماذا أدرجنا صفة إلى حد ما)، والذي تتجلى فيه بعض النرجسية. ففي المقابلات التي أجراها الباحث تتواتر الكلمات التالية: مدوّنتي، حياتي، أنا، ذاتي، عالمي، مكاني.. وتبرز هذه العبارات بأشكال مختلفة، وحتى وإن كان البعض يبدو في وضع غير مريح وهو يستعرض ذاته أو يسردها، بحكم موقع الفرد في الثقافة العربية الإسلامية. فصحابة مدوّنة مغربية، تقدم نفسها في مدونتها بالشروع في القول: « أنا، وأعوذ بالله من هذه الكلمة»، وتسترسل في الحديث عن ذاتها».

إذا كانت المدوّنات في المنطقة العربية أعطت شرعية لإقحام الحياة الخاصة في الفضاء العمومي على حد تعبير الصادق الحمامي، فإنها تطرح السؤال الكلاسيكي الذي شكل هاجسا معرفيا في دراسة المدوّنات الإلكترونية قبل سنوات، والمتمثل فيما يلي: ما هي الحدود الفاصلة بين الفضاء الخاص والفضاء العام؟

رغم أن الفصل بين الشأن العام والشأن الخاص في المجتمعات الأوروبية كان معطى مفصليا لقيام الفضاء

العام بالمفهوم الهبرماسي (نسبة إلى يورغن هبرماس jurgan Habermas) إلا أن الكثير من الباحثين أصبحوا مقتنعين بهلامية الحدود الفاصلة بين الشأن العام والشأن الخاص في المجتمعات الغربية المتقدمة. فالديناميكية الاجتماعية والثقافية في المجتمعات المعاصرة، أعطت محتويات متجددة، ومتبدلة لما هو خاص ولما هو عام. فالكثير من القضايا التي كانت تنتمي، في منتصف القرن الماضي، إلى الشأن الخاص أصبحت تشكل جزءا من الشأن العام، وهذا ما أصبح يهدد أسس الصرح النظري الهبرماسي للفضاء العمومي بالانهيار. لا شك أن لتكنولوجية الاتصال الحديثة، والتغيير الذي طرأ على مؤسسات الثقافة والإعلام الحديثة، خاصة التلفزيون، دوراً في زعزعة الحدود بين ما هو عام وخاص. لكن الوضع يختلف في المنطقة العربية، بشكل لافت للنظر. فمفهوم الشأن العام أو الخاص لا يملك المحتوى ذاته الذي يملكه في الدول الغربية.

إن بناء الذات يتم من خلال التفاعل مع الأخر، على أساس المحتوى المتداول الذي يتم اقتسامه، فإنتاج المحتويات يترك تبعات على إنتاج الذات، وبالتالي على إنتاج منظومة من العلاقات. فالذات هي الهوّية، وهذه الأخيرة لا توجد في حالتها المبنية والمصاغة بشكل نهائي وتنتظر منا أن نكتشفها فقط. فالهوّية هي تشكيل لصورتنا عن ذاتنا، وهي عبارة عن مسار طويل ومعقد ومتجدّد.ولتحديد السياق السوسيولوجي الذي يساهم في صياغة الهوّية الفردية والجماعية للمدونين، يمكن الإشارة إلى أن الموقع الإلكتروني .www alexa.com المختص في تحليل مواقع الانترنت، وتشخيص مستخدميها، كشف على أن متابعي المدوّنات الإلكترونية التي تمت دراستها هم في الغالب من الشباب الذين يتراوح سنهم ما بين ١٨ و٢٤ سنة، والقليل منهم يتراوح سنهم ما بين ٢٥ و٣٥ سنة. وجلهم ذوي مستوى تعليمي جامعي. وخلافا لما يعتقد الكثيرون فإن الموقع الإلكتروني المذكور ينبهنا إلى أن أغلب متابعي المدوّنات التي ينشئها الذكور يتابعها الذكور، بينما أغلب المدوّنات التي تنشئها الإناث تتابع أكثر من طرف الإناث. وهذا لا يعني بتاتا عدم متابعة الإناث لمدونات الذكور، أو انصراف الذكور عن متابعة الإناث، وإنما يشير إلى أن الضوابط الاجتماعية القائمة في الحياة الفعلية لا تفقد كل مفعولها في الحياة الافتراضية في شبكة الانترنت.

يمكن أن نستنبط من تحليل عينة من المدوّنات في المنطقة العربية الإستراتيجيات الثلاث الأساسية التي تسمح بسرد الذات وبناءها، كما عبر عنها الباحثان، كردون دومنيكCardon Dominique وودولوني- تيترال أيلانDelaunay-Teterel Hélène. وهما: جعل المدوّن (الذات) مرئية Visibility، والإشهار advertisement، و فن العيش المشترك Sociability

ا-جعل المدوّن ظاهرا ومرئيا Visibility: يعبر حب الإنسان في الظهور وأن يكون مرئيا أكثر عن إفراط في « الاهتمام بالأنا». ويربط بعض الفلاسفة والأنثربولوجين، على غرار برتون دافيد David Breton ، بروز هذا الحب في الغرب، في السبعينات من القرن الماضي، بأزمة معنى القيم، وأزمة العلاقات الاجتماعية. فأمسى الظهور الطريقة الوحيدة للوجود. وقد عززته وسائل الإعلام والإعلان. ولئن كان حب الظهور في المنطقة العربية متأثرا بتقليد بالأجنبي، فإنه لا يعكس الأزمة المذكورة بقدر ما يعبر عن حالة من التمرد، ومقاومة الفرد للإقصاء والتهميش. فأمام انحصار الفضاءات الرسمية للتعبير عن الذات سواء لأسباب سياسية ترتبط بمحدودية حرية التعبير أو لأسباب ثقافية واجتماعية تفرض تهميش الفرد والاهتمام بالجماعة جعل الكثير من المدوّنين، خاصة في مصر، ما قاله الشاعر المصري أمل دنقل: «الكتابة عندي هي بديل للانتحار» شعارا لهم. وذلك للإيحاء بأن المدوّنات الإلكترونية تسمح لهم بالتنفيس عن الذات، وإبداء الرأي، وتقديم وجهة النظر، وسرد اليوميات، وتقديم الشهادات عن الأحداث والوقائع. فالمدوّن العربي، قد استبدل الكيجتو الديكارتي (نسبة إلى الفيلسوف رنيه ديكارت René Descartes,) « أنا أفكر إذا أنا موجود» بالصيغة التالية: «أنا أدوّن إذا أنا موجود». وربما يتناغم هذا الكيجتو الجديد، مع هيمنة العصر المرئي، فمن

لا يُرى هو غير موجود. لقد اهتدى الفيلسوف اليوناني سقراط إلى هذه الحقيقة، عندما لاحظ أن تلاميذه وجهوا له العديد من الأسئلة ماعدا طالبا واحد ظل ملتزماً الصمت، فخاطبه قائلا: (تحدث حتى أراك).

إن سطوة حب الظهور قد دفعت جل المدوّنين إلى تشبيك مدوناتهم بشبكات التواصل الاجتماعي الافتراضية (الفيس بوك FaceBook، و تويتر Twitter، و فيلكر Flicker...) لقد بلغ هذا الحب مداه لدى المدوّنين، فحول المدوّنات الإلكترونية من أداة لجذب النظر إليهم إلى لبنة من لبنات النرجسية، كما وصفتها الباحثة لونهرت أمنودا. فصاحبة مدوّنة «أنثى استثنائية» اتخذت لمدونتها الشعار الاتي:

((محسود من فاز بحبي، فمثلي لا تتكرر)). ألا يعبر هذا الشعار عن الإفراط في التباهي بالذات؟

إذا، يستمد الفضاء التدوّيني وجوده من التعليقات على ما ينشر في المدوّنات الإلكترونية، والتي يسمح بالتفاعل. فتحليل بعض المدوّنات التي قمنا بدراستها، يكشف أن أكبر عدد من التعقيبات عن بعض التدوّينات لا تزيد عن ١١٨ تعقيبا. في حين أن بعض الإدراجات لم تحظ بأي تعقيب. فبعض المدوّنين العرب لا يهتمون سوى بما يكتبون. وتوجه جل المدوّنات الإلكترونية التي تم تحليلها إلى الاستفادة من خدمة آليات الخلاصات (RSS) كان بدافع رفع عدد من يقرأون ما يكتبون، وليس الاهتمام بالتعقيب على ما يكتبون. فارتفاع عدد قرائهم لا يلبي رغبتهم في حب الظهور، فحسب، ولا يشبع تعطشهم إلى التعبير عما يختلجهم من مشاعر وأفكار فقط، بل يداهن نرجسيتهم. وهذا ما يستنتج مما ذكره صاحب مدوّنة شؤون وشجون مُدون إماراتي (http://www.suhail.ws) حيث يقول: (المهم بالنسبة لي هو عدد القراء وليس عدد التعليقات). ويؤكد قائلا (إن سر نجاح أي مدوّنة بالنسبة لي يكمن في عدد قراء الإدراجات . لذا من النادر أن أهتم بعدد المعلقين على مواضيعي، لكنني أهتم بعدد قراء الموضوع، وأذكر أني اضطررت مرة لإقفال باب التعليق على أحد المواضيع بسبب كثرة الآراء وتضاربها ولجوء الزوار والمُعلقين للمهاترات في الردود.)

أ-إخراج الدواخل إلى العلن Extimacy،Extimité

حتى يكون المدوّن مرئيا يجب أن يقوم بإخراج دواخله إلى العلن ؛ أي الكتابة عن تفاصيل حياته الحميمية وإدراجها في الفضاء العام، وإنتاج جانب من جوانب هويته. ويقصد بإخراج الدواخل التعبير عن الذات من خلال التركيز على ما هو حميمي فيها. ويصف الباحث بيلر فريد Fred Pailler ما هو حميمي لدى الشخص بأنه احتياطه، ومنطقة انطواء على ذاته، و إدراك لها ذو عمق وسمك، ومخزن للعّدة الشخصية ذات البعد المادي ، والوجودي، والرمزي، والتي تملك أهميتها في حياة الأشخاص. وتعبر عن تجاربهم العاطفية والاجتماعية. فالفيلسوف بول ريكور Paul Ricœur طور فكرة وجود هوّية سردية. وبيّن أن أهميتها تكمن في أننا نعيش في سرد حياتنا الخاصة.

نعتقد أن مشروعية المدوّنات الإلكترونية لا تستند إلى القول العام في سياق اتسم بالتضييق على حرية التعبير فحسب، بل ارتبطت، أيضا، وبشكل أساسي، بالبوح الخاص بحالات نفسية وتجارب اجتماعية وعاطفية حميمية ونشرها أمام الملأ. فهذا البحث يكشف على أن ١٣٪ من عينة المدوّنات التي درسناها يؤكد أصحابها أنهم يعتبرونها منصة لنشر يومياتهم. وهذا ما يدفعنا إلى الأخذ بعين الاعتبار ما يلي:

١/ تحذرنا بعض البحوث الانثروبولوجية من صعوبة تعميم تكافؤ العرب في الحديث العلني و بمحض إراداتهم عن تفاصيل حياتهم الحميمية، كالاعتراف، بسهولة، بإصابتهم بأمراض تثير الحشمة. بل أن بعضهم لا يُقِرّ، ببساطة، تعرضه لبعض الأمور المقلقة كالإمساك، على سبيل المثال.

٢/ يمكن أن نساير ما ذهب إليه الشاعر المغربي محمد بنيس في تأكيده على انتشار كتابة اليوميات في أوساط الشباب الأوربي في أثناء حله وترحاله (يسجل يوميات سفره وسياحته داخل بلده وخارجه، ويوميات مراحل تعليمه، وغيرها). هذا بصرف النظر عن مآل هذه اليوميات: هل ستجد طريقها للنشر أو يحتفظ بها الشباب لذاتهم، أو يستعينون بمضمونها في حياتهم الاجتماعية أو المهنية؟ ويرى أن كتابة

اليوميات تشترط فعلين متلازمين، وهما: القراءة والكتابة بصفة عامة، فالكتابة لا تأتي من العدم وبدون قراءة. وينتهي إلى القول أن هذا أصعب ما يمكن أن نطالب به مجتمعنا العربي. فباستثناء قلة قليلة من الشباب الذي يتصفح الصحف السيارة في محطات النقل العمومي أو وسائله فمن النادر أن نعثر على شخص يقرأ كتابا في حافلة نقل عمومي، أو في القطار. وإن فعل فالبعض يختلس النظر إليه باستغراب. وبالمقابل نجد الكثير من الشباب يضع سماعات للاستماع لما سجله من أغاني في جهازMP3 من أغاني، أو يقضي وقته في اللعب بهاتفه الخلوي.

٣/ إن أدب الاعتراف أو السيرة الذاتية في الثقافة العربية لم ينل الاعتراف في المنطقة العربية كما هو شأن الرواية رغم تزامن وجودهما. بل ظل لأسباب اجتماعية وثقافية «مهمشا». فالقليل من الكتاب العرب « غامروا بكتابة سيرهم الذاتية، أمثال محمد شكري (في مؤلفه الخبز الحافي)، ورؤوف مسعد (في مؤلفه إيثاكا) وعبد القادر الجنابي (في مؤلفه تربية عبد القادر الجنابي). هذا إن لم نساير الباحث ناظم السيد فيما ذهب إليه بقوله أن معظم الروايات العربية هي عبارة عن سيّر ذاتية مقنّعة. فيجب التنبيه إلى أن كاتب الرواية لا يكشف عن ذاته بكل وضوح، خلافا لأدب الاعتراف، أو لليوميات التي تنشر في المدوّنات الإلكترونية؛ بمعنى أن الراوي لا يستخدم ضمير المتحدث بل يستعين بضمير الغائب؛ أي أنه لا يتقمص، إلا ما ندر، دورين: دور السارد والحاكي، ودور بطل الرواية في الوقت ذاته. ويسقط ذاتيته ويومياته، بهذا القدر أو ذاك، على بطل الرواية من خلال الاحتماء بالخيال مستفيدا من مفهوم عقد القراءة» Contract Reading، كما صاغه الباحث فرانسو جوست Jost François، والذي يقصد به اقتسام الكاتب والقارئ، بشكل واعي، العلاقة الغامضة التي تربط النص الروائي بالواقع. ولذا نزعم أن الرواية العربية تُعّد ذات مقدرة، وحرية في التعبير عن بعض التفاصيل الحميمية لكاتبها وأبطالها أكثر من «السير الذاتية» أو اليوميات التي تنشر في الكثير من المدوّنات العربية. وهذا خلافا لما يعتقد البعض بأن اختفاء المدوّنين وراء أسماء مستعارة يعطيهم جرعة قوية من الجرأة للحديث بحرية عن حياتهم الحميمية. حقيقة لقد سمح الفضاء التدوّيني للبعض بالإعلان عن هويته المختلفة، وحتى الشاذة، مثل صاحبة مدوّنة مثلية، والتي حكت عن مثليتها وعرضت صور لمثليات في مدونتها. وربما هذا الأمر يندرج ضمن ما اسماه الباحث الفلسطيني- الأمريكي الشاب: جوزيف مسعد بعولمة الشذوذ.

بالفعل لقد قام بعض المدوّنين بسرد تفاصيل وقائع حرجة في يومياتهم، مثل، تلك التي سردتها منال في مدوّنة (منال وعلاء) عن تعرضها للتحرش الجنسي في أثناء رحلتها إلى ايطاليا من الشخص الجالس بجانبها، مما دفعها للقول أن لا فرق بين ركوب الطائرة والتنقل بوسائل النقل العام في القاهرة من ناحية التحرش بالمرأة. لكن بعض المدوّنات اللواتي ذهبن في جرأتهن إلى حد كبير أو غير مألوف في المجتمع المحافظ، اضطررن إلى التزام الصمت والانسحاب من الفضاء التدوّيني، كما هو شأن مدوّنة مكسوفة(http:// mkasofa-almaksof.blogspot.com). فصاحبة هذه المدوّنة التي يوحي عنوانها أنها كانت تتحدث محمرة الوجه خجلا أو رأسها مطأطئة، كانت تطرح قضايا شائكة في المجتمع العربي، مثل العلاقة الحميمية بين الرجل والمرأة بشكل غير مسبوق. قد لقيت من المضايقات حدا دفعها إلى الصمت، ولم يشفع لها عدد التعليقات التي كانت تصلها من المدوّنين والمتابعين لما تنشره في مدونتها، ولم تفلح حملة المدوّنين لمؤازرتها في إرجاعها لممارسة التدوّين الإلكتروني. وهذه الحقيقة لا تمثل حادثة منفصلة في الفضاء التدوّيني، وتبيّن أن المنظومة الثقافية تتدخل، بهذا القدر أو ذاك في ضبط سلوك الأشخاص وخطابهم، وفي فرض نماذجها المعيارية عليهم. فالفضاء التدوّيني الذي يبجل الفعل الفردي ويمنحه هامشا من الحرية، ويزوده، عمليا، بهامش من التفاوض لتجاوز الواقع أو تخطى الممارسة الثقافية السالفة دون أن يتحرر منها برمتها وبشكل نهائي، وبقطيعة فجائية. وهذا التفاوض يجرى في حقيقة الأمر مع السلطة بمفهومها

الفوكوي والبرداوي(نسبة إلى الباحثين: ميشال فوكو، وبيار بورديو). فالأول يرى أن السلطة المصغرة تروم فرض معيارية معينة على السلوك، و تستشري كشبكة من القوى، أكثر من كونها ناجّة عن فعل طبقة أو جهاز دولة. ويرى بيار بورديو أن السلطة ليست شيئا مُتموضعا في مكان ما، وإنما هي عبارة عن نظام من العلاقات المتشابكة، والسلطة الرمزية هي سلطة لا مرئية، ولا يمكن أن تمارس إلا بتواطؤ الذين يأبون الاعتراف بأنهم يخضعون لها.

رغم هذه الإكراهات إلا أن كتابة اليوميات، بصرف النظر عن بساطة موضوعها، ومدى ثراء التجربة التي تنقلها (مثل يوميات عمة في مدوّنة لبنى)، أو (يوميات العمل في معرض الكتاب بالشارقة بالإمارات العربية المتحدة في مدوّنة هادية، أو» يوميات المدوّنات التي صدرت في كتاب (أنا أنثى). ومدوّنة أنس (www.anasblog.me) الذي يتحدث فيها عن حياته وتعليمه، وقصته الغريبة مع الموقع الإلكتروني لقناة العربية التلفزيونية وما سببته له من متاعب جادة وسوء تفاهم عميق مع معارفه وأصدقائه، تشكل كلها أرضية لمعرفة الأخر الذي من خلاله نجدد بناء الذات.

فالمدوّنات الإلكترونية في المنطقة العربية لم تقم بتوسيع القاعدة الاجتماعية لكتابة اليوميات والسير الذاتية فقط، (تزايد عدد كتابها وقرائها والمعلقين عليها)، بل ساهمت في جعل المجتمع مرئيا أكثر، على حد تعبير الصادق الحمامي في حديثه عن العلاقة بين الإعلام الجديد و» الثورة» في تونس. لذا يمكن القول أن اليوميات التي تنشر في المدوّنات، تشكل مجالا حيويا لبناء الذات، وتسمح للمدون بالتعبير عن شخصيته الحقيقية، وتعديلها على ضوء ردات فعل المدوّنين وتعليقات القراء. وقد سعى بعض الباحثين إلى دراسة مدونات السير الذاتية أو اليوميات على ضوء التفاعلية. هذا مع العلم أن الكثير من الباحثين لا يتقبلون فكرة أن المدوّنات هي شكل من السير الذاتية، ربما لأنهم ينظرون إلى المدوّنات من زاوية محتوى ما تقوله أو لا تقوله، وليس انطلاقا من شكل ما تقوله.

ب-إنتاج جانب من جوانب هوّيته: لقد سمحت المدوّنات في المنطقة العربية للمدونين بإنتاج جانب من جوانب هويتهم، وهذا ما يتجلى في تمسكهم بوطنيتهم، مثل: (مدوّنة جزائرية، ومدوّنة مغربية، ومدوّنة بنت مصرية، ومدوّنة عماني، ومدوّنة عماني جدا) أو أنوثتهم (مدوّنة أنثى استثنائية، ومدوّنة أخر القطرات)، أو دينهم (مدوّنة مسلم) أو قوميتهم (مدوّنة عربي إلى الأبد، ومدوّنة قبطية مسلمة) و (مدوّنة همسات الرجل الشرقي) أو مثليتهم، مثل صاحبة مدوّنة « مثلية فقط» التي تعرف نفسها بأنها فتاة مثلية لا تريد من العالم سوى منحها حبيبتها. كما يسمح الفضاء التدوّيني في المنطقة العربية بالإعلان عن هوّية المدوّنين السياسية والإيديولوجية، مثل صاحب(مدوّنة ديمقراطي)، و صاحبة مدوّنة (أنا كده) التي تعرف نفسها بأنها من الإخوان المسلمين، وصاحب مدوّنة (ضحية الحرية) الذي يعرف زوار مدونته بأنه ينتمي إلى الإخوان المسلمين. فهذا الكشف عن جانب من الهوّية، يشكل أرضية للتفاعل داخل الفضاء التدوّيني من جهة، ويسمح، من جهة أخرى، للمدوّن بصقل هويته وتطويرها على ضوء ما يتلقاه من تعليقات بصرف النظر عن اتجاهها.

II-الإشهار Advertisement: تسمح المدوّنات الإلكترونية بالإشهار لذات المدوّن من خلال بعدين أساسيين:

- إبراز جانب من الهوّيات، واتخاذ موقف والدفاع عنه.

أ-إبراز جانب من الهوّيات

من النادر أن نجد المدوّنين العرب يمتنعون عن التعريف بذاتهم، على غرار المدوّنة نوال الكسير التي نشرت الكلمات التالية، بدل التعريف بنفسها: (لما صارت أي كلمة تكتب عن النفس تفسر ألف تفسير .. ٩٩ تفسير منها سيء للأسف..اخترت إني لا أعرف بنفسي. على الأقل حاليا). فالمدوّنات تسمح بتقديم الذات وفق ما يريد المدوّن، فينزع القناع الذي كان يتستر به . فالمدوّنة ألاء تقدم نفسها بالشكل التالي: (في

داخلي امرأتان، إحداهما طموحة جداً تسعى إلى بلوغ السعادة والشغف والمغامرات التي يستطيع الوجود أن يوفرها لها، والثانية بسيطة جداً تخبز الرتابة والحياة العائلية والأفعال الصغيرة التي يمكن التخطيط لها وتنفيذها). وتعرف صاحبة مدوّنة مغربية ذاتها بالقول (أنا مجرد فتاة ولدت في أسرة عادية ، تعودت ألا تزغرد نساؤها إلا للمواليد الذكور. كنتُ آخر العنقود لأب يبتسم بعينيه وأم ترسم شفتيها الخجل، وإخوة تعلمت منهم كيف تكون التضحية في أطوارها. أنا فقط مجرد إنسانة عاشت بين صديقات علموها كيف تضحك والحزن يقتلها، وكيف تسكت والهم يخنقها، وكيف تموت ليعيش كل من يهمها بكل بساطة، لست سوى مجرد إنسانة عادية، تعيش لتعيش وتحلم لتحلم، صانعة عالمها العجيب من أسرة وأصدقاء وقلم أحمر يرافقها كلما شعرت بالوحدة...).

ويلجأ الكثير من المدوّنين في المنطقة العربية إلى تقديم تفاصيل عن شخصيتهم، بسرد قائمة من الأشياء التي يحبونها وتلك التي يكرهونها. ويسعى بعضهم إلى الإشهار(الإعلان) عن ذاتهم، ليس بالمعنى السلبي، بل بالمعنى الايجابي الذي يقدم صورة أكثر وضوحا عن الذات، ويروج لها من خلال التركيز على هوايتهم في الحياة، مثل السباحة، وركوب الخيل، والسفر، ومشاهدة الأفلام، والموسيقى، وغيرها. لكن الهويات الأكثر حضورا في المدوّنات العربية هي تلك المرتبطة بالتعبير الأدبي، مثل كتابة الخاطرة، والقصة، والشعر. ففي هذا الإطار تعترف صاحبة مدوّنة Wafaliza: (أكتب الشعر النبطي والفصيح، لكنني لا أنشره في المدوّنة إلا بعد ألقيه في أمسيات شعرية ويطلع عليه الناس، لأنني وجدت إحدى قصائدي منشورة في موقع إلكتروني باسم شاعرة أخرى والتعليقات تنهال عليها إعجابا!) و ترى صاحبة المدوّنة المذكورة أن الشعر النبطي يسمح للشاعر «بأكل عيش»، ونيل مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع، خلافا للشعر الفصيح، فأصحابه لا ينالون الحظوة ذاتها. وتعترف أن الشعر الفصيح يلقى نقدا أكثر في الميديا الجديدة خلافا للشعر النبطي الذي يحظى بالإطراء فقط. وهذا يعني أن نشر الشعر النبطي يعمل على الترويج للشاعر وتلميعه.

ويدعو الكثير من المدوّنين إلى مشاطرة الغير هوايتهم، مثل: القراءة، حيث يقومون بالتعريف بما يقرؤون، أو تلخيص الكتب التي انتهوا من قراءاتها، أو نشر مقاطع منها أو أهم الأفكار الواردة فيها التي تصبح عبارة عن حكم وأقوال مأثورة. وتنتهي عملية إشهار الذات إلى تشكيل ما يسمى بمدوّنات النظراء التي تجمع المدوّنين حول هواية ما، وتؤول في أخر المطاف إلى حالة من الانغلاق.

ب: اتخاذ موقف والدفاع عنه:

انشأ المدوّنون في المنطقة العربية مدوّناتهم للتعبير عن مواقفهم السياسية والفكرية والإيديولوجية من القضايا التي تطرحها وسائل الإعلام أو التي تتجنب طرحها. وبهذا فإنهم يسعون إلى تعويض بعض مواضيع النقاش أو الإعلام عن الأحداث المغيبة في وسائل الإعلام الرسمية، أو التقليل من حالة الإقصاء الاجتماعي لشرائح واسعة من المواطنين من النقاش العام. ولا ينتمي هؤلاء المدوّنون إلى أحزاب سياسية ومنظمات المجتمع المدني، بالضرورة. ولا تصنف مدوّناتهم الإلكترونية أنها مدوّنات تعبوية أو نضالية. وقد تتوسل هذه المدوّنات صورا، أو شرائط فيديو لتعبر عن وجهة نظرهم. والمواضيع التي تشكل مجالا لاتخاذ مواقف تتنوع بين السياسي، والإعلامي، والفكري والاجتماعي والثقافي، مثل: حصار غزة (أنظر مثلا مدوّنة من نور)، وتهويد القدس (أنظر مدوّنة مثلا إبراهيم العلاف)، والموقف من القضية الفلسطينية (أنظر مثلا مدوّنة أنس إسماعيل)، وموضوع مباراة كرة القدم التي جمعت الجزائر ومصر في تصفيات كأس العالم ٢٠١٠ (أنظر مثلا مدوّنة عراس- تائه في زمن الفوضى) ، وموت التدوّين (أنظر مدوّنة عين العقل)، الزواج بالأجانب (مدوّنة نجم سهيل)، الدفاع عن المرأة (أنظر على سبيل المثال مدوّنة كلنا ليلى). لقد انطلقت هذه المدوّنة يوم ٢٠٠٦/٩/٩ بمشاركة مجموعة من المدوّنات، و تحولت إلى موعد للبوح ، يتجدد كل سنة.

لقد شرحت إحدى المدوّنات الهدف من إنشاء هذه المدوّنة مخاطبة الذكور قائلة: ((هدفنا الأكبر هو أن نشارككم في جزء مهم وجوهري من عوالمنا المختلفة، جزء مخبأ بعناية في أحايين كثيرة بداخل أختك أو زوجتك أو زميلتك في العمل...جزء قد تشارك في تكوينه بوعي أو بدون وعي أحيانا.))

بالفعل، إن المدوّنات الإلكترونية، شأنها شأن بقية الشبكات الاجتماعية في الانترنت أصبحت تشكل سلاحا سياسيا، وأرضية للنضال السياسي. لكن قراءة مواقف المدوّنين من القضايا المرتبطة بالشأن العام أو الأحداث الدولية ذات التأثير المباشر على المنطقة العربية ومواطنيها، تكون قاصرة إذا اقتصرت على المجال السياسي، وأغفلت أبعادها الاجتماعية والنفسية التي تساهم في صياغة الذات، وإبرازها.

-العيش المشترك أو معا Sociability

تنشئ المدوّنات علاقات اجتماعية من خلال تشكيل جمهورها حول قضية سياسية أو إيديولوجية أو فكرية أو اجتماعية، وعبر المنتدى. وحول هذه النقطة يمكن تقديم مجموعة من الاستنتاجات التي تكشف عن آليات النقاش في «الفضاء العام» العربي الافتراضي وحدودها.

بصرف النظر الاكتظاظ الذي تعاني منه مقبرة المدوّنات في المنطقة العربية، يتزايد الإقبال على إنشاء المدوّنات الإلكترونية رغم قلة عدد التعليقات مقارنة بعدد الزوار. وهذا الأمر يبدو طبيعيا في الفضاء التدوّيني بصفة عامة، بصرف النظر عن البيئة الثقافية التي يتحرك فيها. لكن ما يلفت النظر في التدوّين العربي أن الكثير من المدوّنين الذين أجرينا معهم المقابلة أكدوا أنهم أنشأؤا مدوّنات في السابق وهاجروها لإنشاء مدوّنات أخرى وذلك لأسباب مختلفة بعضها تقني، يتمثل في البحث من منصة أفضل تقنيا وبعضها اجتماعي وثقافي، مثل قلة الإقبال عليها. كما أن البعض القليل من المدوّنات الإلكترونية التي شملها البحث تُحدِث محتوياتها بشكل آني، إذ يصل الفاصل الزمني بين إدراج وأخر في المدوّنة الواحدة إلى سنتين! لكن ما نراه غير طبيعي أن الكثير من التعليقات أو التعقيبات على إدراجات المدوّنات العربية تكون خارج الموضوع. ولو صدقنا ما توصلت إليه دراسة شاملة للمدوّنات العربية لأدركنا محدودية التفاعل في الفضاء التدوّيني، حيث تؤكد أن ٧ ٪ فقط من التعليقات لها علاقة بمواضيع التدوّينات. وتحظى مدوّنات المغرب بنسبة كبرى من التعليقات التي لها علاقة بالموضوع.

وتؤكد الدراسة ذاتها أن ٨١٪ من زوار المدوّنات لا يقرأون بشكل كامل التعليقات، بينما تمثل١١ ٪ نسبة الذي يقرؤونها بشكل متقطع، والنسبة المتبقية ٨ ٪ يقرؤون التعليقات باستمرار.

على هذا الأساس فإن « النقاش» الذي يتشكل حول ما تنشره المدوّنات والتعليقات عليها، الذي يأخذ صيغة منتدى لتعدد المتدخلين في النقاش، لم يرتق إلى مستوى الحوار. فمن ناحية شكلية تميل الكفة، دائما، لصالح التبادل الثنائي، حيث يقوم المدوّن بالرد ردا توضيحيا أو مجاملا على المعلقين كأفراد يبدو أنه يعرفهم. أما التبادل الجماعي للحديث بين المعلقين فلا يشكل قاعدة عامة في التفاعل. ومن ناحية المضمون نجد ضربا من المجاملة: مثل: شكرا على جهدك، مدوّنتك رائعة واعدك بزيارتها باستمرار، شكرا على مقالاتك.. إنها أكثر من رائعة. كما نعثر في التعليقات على ما تنشره المدوّنات على الوعظ والدعاء، والاتهام. ونادرا ما تقر التعليقات بالرأي المغاير أو المختلف. فبدون التقليل من الأهمية الاجتماعية للمجاملات والمداهنات في التعليقات التي تنشرها المدوّنات والردود عليها لأنها تسمح باستمرارية التواصل والتفاعل، وتريح المدوّن وتشجعه على الاستمرار في التدوّين الإلكتروني، وتوحي بالتوافق في الرأي والمشاعر، يمكن أن نلاحظ أن هذه المجاملات تؤكد التشابه الكبير بين النقاش الذي يجري في الحياة اليومية العربية وذاك الذي يبنى انطلاقا من النقاش حول ملفوظات التدوّين العربي. كما أن هذه التعليقات تؤكد أن المهم ليس المضمون المتداول بين المدوّن ومتصفحي مدوّنته، بل الاتصال. لكنها تكشف، في الوقت ذاته على أن غياب الحوار في الواقع العملي أو في المدوّنات الإلكترونية يترجم، في حقيقة الأمر، عدم الاعتراف بالاختلاف في

المجتمع. فمحاورة الأشخاص الذين يتفقون مع رأيك يتحول إلى ضرب من المجاملة التي تعزز خصوصية الاتصال في المنطقة العربية. هذا الاتصال الذي يتسم بتجنب التصريح، والميل إلى التلميح للتعبير عن المواقف والأحاسيس والمشاعر والآراء. إن هذا الأمر يحيلنا إلى تصور الأخر في الثقافة العربية، الذي أشرنا إليه أنفا. وقد ساهمت السياسة في المنطقة العربية في نفي الاختلاف الذي رسخ الأحادية السياسية والفكرية. يحضرنا في هذا المقال رد أحد المعلقين على البحث الذي أعده أحد الأساتذة الجزائريين حول الحركات الاحتجاجية في الجزائر، وهو من المختصين القلائل في هذا الموضوع، ونشر في موقع إلكتروني. لقد اختصر الرد في القول: (أنت يا صاحب المقال لا تعرف الجزائر والجزائريين)، لم يتكبد المعلق مشقة الشرح ليبّين أين أخطأ الباحث، ولم يعلمنا كيف استنتج بأن الكاتب لا يعرف الجزائر والجزائريين؟ ويبيّن لماذا هو يعرف الجزائر والجزائريين أفضل من الباحث المذكور. ويُستشف من رده اتهاما لا يعبر عن التململ والضيق بالرأي المخالف فقط، بل عدم تحمُّله، على حد تعبير الأستاذ محمد الحدّاد.

قد يتململ بعض المدوّنين من المجاملة التي تؤثر على الفعل التدوّيني. ففي هذا الصدد يمكن أن نشير إلى تعليق صاحبة مدوّنة unique على الإدراج الذي نشر تحت عنوان:((هل خمدت ثورة التدوّين؟)) المنشورة في مدوّنة «عين العقل»، والذي تتحدث فيه عن مشكلة التدوّين قائلة:(تكمن في أن الكثير من المدوّنين العرب يستخدمونه كبقية المواقع الاجتماعية، فلا يهمهم سوى كسب المزيد من الصداقات، ورفع عدد الزيارات والتعليقات). وتعلق صاحبة مدوّنة «كلمات من نور» على الإدراج ذاته بالقول: ((دخلت عالم التدوّين منذ عام ونصف، ومع الأسف وجدته محصورا بعالم المدوّنين فقط، ليس هذا فحسب، بل البعض مع الأسف يزور مدوّنتك لأنك علقت على تدوينته، والبعض الأخر، مهما زرته أو أعجبتك مدوّنته فهو لا يرد على تعليقاتك ولا يزور مدوّنتك ... لقد وجدت إن عالم التدوّين مغلق على المدوّنين)).

لو نقرأ هذه الشهادات على ضوء السياق الجديد الذي تنشط فيه المدوّنات والمدوّنون ، والذي يتسم باعتمادها المتزايد على الشبكات الاجتماعية للترويج لها ولمضامينها، لوجدنا أنها تعيش نوعا من المفارقة. فبقدر ما تزداد المدوّنات انتشارا تعيش حالة الانغلاق على المدوّنين! وعلى هذا الأساس يمكن القول أن التدوّين في المنطقة العربية قد أدى إلى إنشاء « قبائل جديدة»!

١.للتأكيد على الصعوبات التي تعاني منها التعليقات، وحالت دون تحولها إلى حوار بين المدوّنين والمعلقين، يمكن التذكير بأن المدوّنات الإلكترونية تنطلق في بدايتها من العلاقات الاجتماعية القائمة في الحياة اليومية الواقعية، أي أنها تعتمد في انطلاقتها على أفراد من الأسرة، ثم الأصدقاء وأصدقاء الأصدقاء، وهكذا تتسع الحلقة من خلال التعليقات والإحالات إلى مدوّنات إلكترونية أخرى عبر وصلات إلكترونية Links متعددة. فإذا كانت جل المدوّنات الإلكترونية المدروسة ترتب محتواها حسب المواضيع، وتنشر الإدراجات أو التدوّينات حسب ترتيب تنازلي قصد تسهيل الإطلاع عليها، فإن العديد من المدوّنات تقتر في الإشارة إلى المدوّنات أو المدوّنات الصديقة أو المختارة. و لا تتبنى أسلوب الكتابة وفق منطق النص المتشعب أو الفائض، إلا ما ندر، حيث تستعمله من أجل إحالة الزوار إلى شريط فيديو أو صور،على وجه التحديد. فالنص المتشعب Hypertext لا يبرز تعددية الأصوات المتحدثة في المدوّنة فحسب، بل يمكن أن يثمن الأنا من خلال الإحالة إلى القول السالف، أو شرح موقف أو رأي المدوّن االذي سبق وأن نشره في مواقع إلكترونية أخرى. فالمدوّن الذي يسعى إلى بناء علاقات اجتماعية بناء على النص اللفظي لا يدرك أن أي نص لا يشكل جسدا مغلقا من العلامات والدلالات، بل يتحدد انطلاقا من حركيته، وتفصله مع بقية النصوص؛ أي في تناصه Intertextuality حسب ما ذهب إليه الباحث البريطاني جون فيسك.

إذا كان هذا الأمر يمكن تفسيره بالقصور التقني، فإن ما يمكن تفسيره اجتماعيا وثقافيا، يدفعنا إلى القول بأن الفعل التدوّيني لا يعزز، بشكل آلي الروابط الاجتماعية الفعلية أو السالفة، خاصة في الوسط

العائلي . هذا ما يتضح من خلال ما صرح به المدوّنون الذين شملهم هذا البحث عن السؤال الاتي: هل تخبر (تخبرين (أهلك عن مدوّنتك أم لا؟ فالمدوّنة ألاء تؤكد أنها لا تخبرهم بما تنشره في مدوّنتها، في بعض الأحيان. والسبب أنها قد تكتب أشياءً لا تستطيع أن تتطرق إليها في حضورهم ليس لخصوصيتها ولكن....)، وتقول المدوّنة لطيفة الحاج ((لا أخبر سوى الذين لهم اهتمام من أهلي، و يتمتعون بعقليات منفتحة)). ويتحاشى المدوّن نجم سهيل إعلام أهله بما ينشره في مدوّنته لتجنب أي تعارض في الآراء معهم حول المواضيع التي يكتب عنها.

بناء الذات في المدوّنات بين الأسماء الحقيقية والمنتحلة:

رغم تزايد عدد المدوّنين الذي يكشفون عن أسمائهم الحقيقية إلا أن استعمال الأسماء المستعارة يظل واسع الانتشار، خاصة لدى الفتيات. فإذا كانت الإناث تخفي أسماءهن الحقيقية في مدوّناتهن أكثر من الذكور، فإن الامتناع عن نشر صورهم يعد القاسم المشترك الذي يجمعهن بالذكور، حيث تؤكد بعض الدراسات أن ٨٪ فقط من المدوّنين العرب ينشرون صورهم الحقيقة في مدوّناتهم، وتشكل الإناث منهم أقل من ١٪. أما بقية المدوّنين فينشرون بدل صورهم أعلاما للدلالة على الانتماء لوطن بعينه، أو أقلاما أو دواةً أو صورة لغلاف كتاب، أو لوحة مفاتيح الكمبيوتر للتعبير عن مكانة المدوّن الاجتماعية ومستواه الثقافي، أو صور الطبيعة. وتميل الكثير من البنات إلى وضع وردة أو باقة من الورود بدل صورهن في مدوّناتهن من باب الاستعارة.

وتتعدد أسباب عدم الكشف عن الاسم الحقيقي للمدوّن أو صورته. فصاحبة مدوّنة «مكسوفة» تبرر عدم الظهور باسمها الحقيقي في الفضاء العام بالقول: ((إننا شعوب تدفن رؤوسها في الرمال، وما أتناوله في مدوّنتي الإلكترونية يحدث بيننا كل يوم لكنني كامرأة في مجتمع تحكمه معايير التخلف والازدواجية، وما زلت أخشى تقاليد القبيلة التي لن ترحمني، وسيأتي اليوم حتما الذي سأظهر فيه بشخصيتي الحقيقية».))

ترى صاحبة مدوّنة « هادية» أن التدوّين باسم مستعار يعبر عن رغبة الشخص في أن يكون حرا فيما يكتب وينشر. فهو شكل من الاختفاء لتفادى المحاصرة والمراقبة من قبل المعارف الذين يتعرفون على هويته ويقيدون كتاباته. لعل هذه الحقيقة هي التي جعلت الصادق الحمامي يرى أن اختفاء الإناث وراء الأسماء المستعارة هو شكل من التعري في فضاء يعتقد أن الفصل فيه بين الإناث والذكور زال، وانمحت فيه التراتبية القائمة على أساس الجنس أو السن، حيث تنكشف فيه المدوّنة على حقيقتها. لكن التمعن فيما يكتب في مدوّنات النساء يستنتج بأن انتحالهن لأسماء مستعارة يسمح لهن بممارسة لعبة الاختفاء والتجلي؛ أي إظهار ما يرغبن في إظهاره من شخصيتهن، وتجاربهن وأفكارهن، وأحاسيسهن وإخفاء ما يفضلن إخفاءه. إذا المسألة لا تتعلق باستبدال اسم معروف بأخر نكرة يسعى لكسب الاعتراف، بل إنها مسألة التعبير عن هوّية. وقد عبر الباحث أينس بليدل Iannis Pledel عن أبعاد هذه المسألة بالقول أن الاسم المستعار يتحرك على مستوى المعنى المزدوج، حيث يجعل الهوّية الحقيقية المخفية تفقد البعض من مصداقيتها، ويستثمر في الهوّية « المقتبسة» والمُتَلَفِظَة، فتولد شكلا متخيلا للذات يتحول إلى مرجع.

إن المدوّنين الذين يدونون بأسمائهم الحقيقية، مثل أنس، وفيصل، وأسامة، ونجم سهيل، وهادية، ولبنى، ووفاء يعبرون عن توجه لتحمل مسؤولية الحديث في الفضاء العام، من جهة، ومن جهة أخرى لرعاية الثقة في الذات، وتعزيز النزعة النرجسية. لكن الاسم، كما يؤكد رولان بارث هو علامة ضخمة، إنه سميك بما يحمله من معنى.

إن إدراك معنى أسماء المدوّنات يتطلب جهدا تفكيكيا يحتاج، في الغالب، إلى الاستعانة بالاستعارة التي تتضمن أبعادا شعرية، وإيحاءات عن حالة من الوعي السياسي أو اللاشعور، نذكر منها: أفكار تحت الحصار،

ضفاف متوهجة، مسألة مبدأ، صرخة حجر، الفرق الذي يحدث الفرق، أكوام التعبير، هلوسة قلم، أسيرة أفكاري، محراب البوح، شيء من الجنون، مملكة المجهول، أيقظوا الحلم أريد أن أنام، جزائري بقرار جمهوري، كلمات ضد الرصاص، وغيرها. إذا كانت كل هذه الأسماء تبيّن البعد التضميني للغة فإنها تزعزع الحدود بين ما هو خاص وما هو عام، وتتناول الواقع بنوع من المجاز والاستعارات. فالاستعارات، كما توضحها أستاذة الإعلام بيغن فربريغ أنات Béguin-Verbrugge Annette، لا تشكل مجرد انزياح لساني. إنها وسيلة اتصال قوية، وإدماج المعارف والقيم في مجتمع ما. وتؤكد بأنه لا مجال للاندهاش من أن ميلاد وسائل إعلام جديدة يولد حقولا جديدة للاستعارات. فالاتكاء على الاستعارات لنقل التجارب والمعارف والقيم وتقديم الذات للآخرين في المدوّنات الإلكترونية العربية دفع المدوّنين، من غير الشعراء والكتاب، إلى توظيف بعض الشعر العربي، وبعث الحياة في قديمه. والارتكاز على الأقوال المأثورة في اللغة العامية. فهذه الاستعارات لا تشكل امتدادا للتقاليد الثقافية العربية التي تكشف عن ميل عاطفي للكلمة الموزونة والمقفاة، بل تعمل، أيضا، على إضفاء بعد جمالي للفظ في المدوّنات. وتسعى، على وجه الخصوص، إلى ترسيخ النزعة التي تميّز التواصل في المنطقة العربية المتسم بالتورية والتبطين من أجل اختراق حدود التعبير التي فرضتها السلطة الرمزية التي تحدثنا عنها أنفا.

ويلاحظ في المدوّنات الإلكترونية العربية تعايش المنظومات اللسانية المختلفة (اللغة العربية الفصحى، اللغة الأجنبية- انجليزية أو فرنسية في الغالب، واللهجات العامية.) قد تكتب التدوّينة Post باللغة الانجليزية فتأتي التعليقات باللغة العربية الفصحى أو اللهجة العامية أو العكس. فهذا التداخل يعكس أمرين أساسيين، وهما:

١-إن اللجوء للغة الأجنبية لا ينم، دائما، عن تميز اجتماعي وثقافي للمدوّن بقدر ما يعبر عن رغبة الإفلات من سلطة اللغة العربية الرسمية التي تثني المدوّن عن البوح بكل ما يشعر به أو يفكر فيه. فهذه السلطة تمارس دور الرقيب الذاتي على المدوّن. ففي هذا الصدد تقول الشاعرة والمدوّنة وفاء بنت خلفان: ((إن طرح موضوع الزواج التقليدي باللغة الإنجليزية، على سبيل المثال، يفتح المجال لآراء متنوعة حول الموضوع، بينما طرحه باللغة العربية يجلب للمدوّن شبهة الحث على الانحلال الأخلاقي و الدعوة لإقامة علاقات محرمة مثلاً)).

٢- لعل استخدام اللهجات المحلية كان من بين العوامل الأساسية التي شجعت الشباب على التدوّين، إذ سمحت له باستخدام لغته المألوفة التي يستعملها في حياته اليومية، وهي الأقرب إليه من « لغة النخبة»، لغة « المثقفين». وتمكنه من تفجير قدراته في التعبير عن ذاته، وعن مشاعره وأفكاره. فهي أكثر التصاقا بواقعه. فجل النماذج من المدوّنات التي قدمها المدوّن، أحمد ناجي في كتابه المعنون: التدوّين، من البوست إلى التويت، محررة باللهجة المصرية.

إن الاستعارات التي تعتمد عليها المدوّنات الإلكترونية العربية لا تختصر في اللغة اللفظية، بل تمتد أيضا إلى اللغة غير اللفظية. لكن توظيف الرمز غير اللفظي يبدو في بعض المدوّنات يعاني من ضعف « الوعي السيميائي» فيخلق ازدواجية في التعبير تجنح نحو التعارض إن لم يكن تناقضا. ففي أحدى المدوّنات الإلكترونية التي تكتب صاحبتها في العديد من المواضيع بثقة مفرطة، ويقين، نجد أنها وضعت في المكان المخصص لصورتها صورة شبح يقف في أخر الطريق تعلوه علامة استفهام كبرى في أفق يصنعه الشفق. فحصر المرأة في صورة شبح يوحي بالكثير من الدلالة الضمنية عن وضعها ومكانتها المجتمع! وعلامة الاستفهام تدل على الحيرة والشك اللذين قد يتناغمان مع شعار المدوّنة (كلمات... في خضم المعاني التائهة) إلا أنهما يتعارضان مع اليقين والجزم الذي يميز كتابات هذه المدوّنة!

نعثر على ضعف (الوعي السيميائي)، أيضا، في مدوّنات أخرى، مثل تلك التي حملت شعار (مدوّنة لا توجد

خطوط حمراء)، بينما خلفية المدوّنة كلها حمراء كتب عليها باللون الأبيض.

إن الرموز المرئية الأكثر استعمالا لتشخيص ذات المدوّنة Blog أو للتعبير عن هوّية المدوّنة تتمثل في قلم رصاص، وحزمة من الأقلام، وريشة، وورقة بيضاء، وكتاب مفتوح، ومجموعة كتب مصطفة فوق بعضها البعض، ومكتبة، وورقة بيضاء مجعدة، وآلة تصوير، وفنجان قهوة، ونظارات فوق طاولة، وصحيفة، وغيرها من الرموز التي تحيلنا إلى عالم الكتابة والقراءة، وفضاء الثقافة، والتي تكاد تشكل صوراً نمطية عن عالم التدوّين وتسجنه في عالم « الثقافة العالمة».

الخلاصة:

يمكن أن نوجز أبرز النتائج التي توصل إليها هذا البحث فيما يلي:

* تتجلى ملامح الذات وسردها في المدوّنات الإلكترونية على مستويين: مستوى تمثّل Representation المدوّنات والفعل التدوّيني، ومستوى ممارسة التدوّين. فعلى المستوى الأول يؤكد البحث أن جل المدوّنين Bloggers في المنطقة العربية يشاطرون التصور العام أو المعنى الشائع common sense عن الفعل التدوّيني، والذي يقرنونه بالحرية. بيد أن مضمون الحرية في الفضاء التدوّيني في المنطقة العربية لا يُختصر في بعدها السياسي، على أهميته، بل يرتبط، على وجه الخصوص ببروز الفرد في وسط ثقافي تسيطر عليه فكرة الجماعة وبمحاولة فرض استقلاليته عبر تجربته الاجتماعية والثقافية.

* يتم إنشاء المدوّنات في المنطقة العربية بهدف التواصل مع مستخدمي شبكة الانترنت، بصرف النظر عن مضمون ما تنشره. هذا بجانب الرغبة الجامعة في سرد شذرات من الحياة الاجتماعية والثقافية والعاطفية للمدوّن، والتعليق على الأحداث والأخبار التي يتجاهلها الإعلام الرسمي.

* أغلب المدوّنات التي ينشئها الذكور تتابع أكثر من طرف الذكور، والعكس، مدوّنات الإناث تتابعها الإناث أكثر من الذكور. وهذا لا يعني بتاتا عدم متابعة الإناث لمدوّنات الذكور، أو انصراف الذكور عن متابعة الإناث، وإنما يشير إلى أن الضوابط الاجتماعية القائمة في الحياة الفعلية لا تفقد كل مفعولها في الحياة الافتراضية في شبكة الانترنت حتى على مستوى مضمون ما ينشر في المدوّنات.

* تستخدم المدوّنات في المنطقة العربية كحقل لتجريب الأنا؛ أي من أجل تأكيد الذات والتسلح بالخبرة. فانتعاش المدوّنات التي تنشر الروايات و القصص والخواطر الأدبية والشعر، على سبيل المثال، لا يكشف عن أزمة النشر في المنطقة العربية فحسب، ولا تحكم آلة الرقابة في النشر الورقي فحسب، بل تنم، أيضا، عن توجه الكثير من الكتاب والشعراء الشباب إلى خوض تجاربهم الأدبية الأولى عبر المدوّنات قصد تنضيجها.

* يرى بعض الباحثين أن تلثم الإناث في مدوّناتهن بأسماء مستعارة أكثر من الذكور في المنطقة يعبر عن شكل من التعري في فضاء افتراضي يعتقد أن الفصل فيه بين الإناث والذكور زال، وانمحت فيه التراتبية القائمة على أساس الجنس أو السن، حيث تنكشف فيه المدوّنة على حقيقتها. لكن الباحث توصل إلى نتيجة مفادها أن انتحال المدوّنين لأسماء مستعارة يسمح للإناث بممارسة لعبة الاختفاء والتجلي؛ أي إظهار ما يرغبن في إظهاره من شخصيتهن، وتجاربهن وأفكارهن، وأحاسيسهن وإخفاء ما يفضلن إخفاءه.

* يؤكد الباحثون أن ميلاد وسائل إعلام جديدة يولد حقولا جديدة للاستعارات. هذا التأكيد لا يجزم بإلغاء الحقول القديمة للاستعارات. ولا ينفي تواصلها بتعاقب وسائل الإعلام. فالاتكاء على الاستعارات لنقل التجارب والمعارف والقيم وتقديم الذات للآخرين في المدوّنات الإلكترونية العربية دفع المدوّنين، من غير الشعراء والكتاب، إلى الاغتراف من التراث الشعري والأدبي العربي. وبهذا فالمدوّنات الإلكترونية ساهمت في تعزيز النزعة التي تميّز التواصل Communication في المنطقة العربية المتسم بالتورية والتبطين من أجل اختراق حدود التعبير التي فرضتها السلطة الرمزية في المنطقة العربية.

* إن توظيف الرمز غير اللفظي يبدو في بعض المدوّنات يعاني من ضعف « الوعي السيميائي» ويختصر الفعل التدوّيني في جملة من الصور النمطية التي تسجنه في عالم الثقافة «العالمة».

Abstract:

The Arab Blog Sphere and the Strategies of Building the Self.

Basically, media studies focused on the important role of the blogs in boosting the democratic process in the Arab States. Blogs also worked on creating an alternative media for the public that maintained freedom of expression

However, media studies ignored the status of the blogs in the social and cultural fields.

The current study tries to tackle the socio-cultural dimensions of the blogs by means of showing how the blogs construct the self. The researcher is going to conduct interviews with the bloggers. He will also carry out a semiotic analysis that may reveal the strategies used by the bloggers. Besides, he tries to identify the realistic and traditional frames in which the social relationships are built and developed by means of these blogs.

Key Words: blogsphere, new media, Building the Self, diary

المراجع:

- توجد العديد من البحوث التي انشغلت بهذا الهاجس، نقتصر على ذكر البعض منها فقط:

Bruce Etling, John Kelly, Robert Faris, and John Palfrey (2009) : Mapping the Arabic Blogosphere: Politics, Culture, and Dissent, Berkman Center Research Publication No. 2009-06 . Retrieved, December 21,2010 from http://cyber.law.harvard.edu/publications/2009/Mapping_the_Arabic_Blogospher

Haitham Sabbah (2005): Blogging in the Arab World. Retrieved December 21,2010 from /http://sabbah.biz/mt/archives/2005/10/06/blogging-in-the-arab-world

Armada Lenhart, Kristen Purcell, Aoron smith And Kathryn Zickuhr (2010): Social Media & Mobile Internet Use Among Teens and Young Adults, Pew Research Center. retrieved December 30,2010 from http://www.pewinternet.org/~/media//Files/Reports/2010/PIP_Social_Media_and_Young_Adults_Report_Final_with_toplines.pdf

Marc Lynch (2007): Blogging the New Arab Public, Arab Media & Society, Retrieved December 21,2010 from http://www.arabmediasociety.com/articles/downloads/20070312155027_AMS1_Marc_Lynch.pdf

لونهر أموندا (2008): المدونون صورة للرواة الجدد على الانترنت، ترجمة عصام منصور، مجلة دراسات المعلومات، جمعية المكتبات والمعلومات السعودية ، العدد الثاني: ربيع الثاني، 1429 الموافق مايو،) ص 18-32)

المبادرة العربية الانترنت (2006): المدونات العربية حرية التعبير مجسدة، http://www.openarab.net/reports/net2006/blogger.shtml

هشام عطية (2009): خصائص المجال العام لتقديم التعبيرات السياسية والاجتماعية عن قضايا وأحداث الشئون العامة فى وسائل الإعلام الجديدة دراسة تحليلية لخطاب المدونات المصرية، ورقة بحثية غير

منشورة، قدمت في مؤتمر : الأسرة والإعلام وتحديات العصر الذي عقدته كلية الاتصال، بجامعة القاهرة، 17-15 أبريل

شريهان توفيق وشيرين كدواني (2008): المدونات السياسية وحرية التعبير كحق من حقوق المواطنة، ورقة بحثية قدمت لمؤتمر الإعلام والبناء الثقافي لحقوق المواطنة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 20-19 فبراير.

- باتريشيا خضر (نوفمبر 2008): قوة المدونات في العالم العربي، مقابلة مع ميشيل توما رئيس تحرير صحيفة (L>Orient-Le Jour، مسترجع بتاريخ 30، يناير 2011 من الموقع

http://www.arabpressnetwork.org/articlesv2.php?id=2736&lang=ar

-2 ثورة البلوجز في العالم العربي تكشف هموم المستخدمين العرب وموضوعاتهم المفضلة (2006)، مسترجع بتاريخ 30/12/ 2010 من الموقع : http://maktoob.maktoobblog.com/36109

- ديانا مقلد (2006): البلوغرز العرب.... جماعات وليست أفرادا- صحيفة الشرق الأوسط، 5 فبراير

-Bruce Etling, John Kelly, Robert Faris, and John Palfrey (2009): Mapping the Arabic Blog -
,sphere: Politics, Culture, and Dissent

Berkman Center Research Publication No. 06. Retrieved December 21,2010 from

http://cyber.law.harvard.edu/publications/2009/Mapping_the_Arabic_Blogosphere

- مؤسسة الفكر العربي (2008): التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية، بيروت، مسترجع بتاريخ 12 يناير 2009 من الموقع: http://www.arabthought.org/node/521

Dobai School of Government: Arab Social Media Report, Vol. 1,N2- May 2011 -

-Benoît Méli (2010): Les blogs ont-ils encore un avenir, Journal du Net du 30/03/2010, R -
trieved , January1,2011 from http://www.journaldunet.com/ebusiness/le-net/blogs-en-france

- الصادق الحمامي (2008): المدونات النسائية عالمهن المنكشف، مسترجع بتاريخ 30/12/2010 من الموقع: http://www.arabmediastudies.net/images/stories/pdf/blogs.pdf

- نقلا عن حسن رشيق (2008) العقلية المغربية.. بين التعميم والتخصيص، ترجمة عبد الله أوسار، صحيفة الاتحاد الاشتراكي 10 مايو

- ناصر السوسي (2008): الفرد - المواطن أساس المجتمع الديمقراطي الحداثي، منظور سوسيو فلسفي، صحيفة الاتحاد الاشتراكي 5 فبراير

- حقيقة لقد جرى العرف أن يمدح الشاعر قومه وقبيلته ، لكن بعض الشعراء أفرطوا في مدح ذاتهم إلى حد النرجسية، ففي هذا الصدد يقول أبو الطيب المتنبئ :

أَنا الَّذي نَظَرَ الأَعمى إِلى أَدَبي وَأَسمَعَت كَلِماتي مَن بِهِ صَمَمُ

ويقل أبو فراس الحمدَاني، في قصيدة أراك عصي الدمع: معللتي بالوصل والموت دونه إذا مت ظمآن فلا نزل القطر

ويقول أبو العلاء المعري: إني وان كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم بإخفاء شمس ضوءها متكامل

- ابراهيم العريس (2006): حوار مع إبراهيم البليهي: ثقافة المشافهة والارجّال هي التي تتحكم بعقولنا وعواطفنا مجتمعات العرب طوفان بشر تستبد بهم اللحظة العابرة ... جاهزون للإثارة في كل اتجاه، صحيفة الحياة 27 مارس.

- ريتشار أي نيسبت (2005): جغرافية الفكر. كيف يفكر الغربيون والأسيويون على نحو مختلف... ولماذا؟

سلسلة عالم المعرفة، فبراير 312 ، ص 77

- المصدر ذاته، ص 202

- Rouquette Sébastien (2008): Les blogs « extimes » : analyse sociologique de l'interactivité des blogs, revue TIC et Société, Vol. 2, n° 1 | 2008- Retrieved December 21,2010 from http://ticetsociete.revues.org/412

- الاحصائيات المتعلقة بدوافع انشاء المدونات الإلكترونية في المنطقة العربية مقتبسة من بحث ميداني أعده الباحث بعنوان: « الشباب والانترنت : دراسة التمثلات والاستخدامات» سنشر في العدد من المجلة العربية للإعلام والاتصال

- أنظر شريط المقابلة المرئية الذي سجل يوم 7 فبراير 2011 ، مسترجع بتاريخ 2/8/ 2011 من الموقع http://mel7it3.blogspot.com/2011/02/interview-de-chikh-rached-ghanouchi.html

- الخير شوار (2009): الجزائريون يقتحمون المدونات ويسألون: لماذا نحن أكثر احتشاما من العرب الآخرين؟ صحيفة الحياة اللندنية، 30 أغسطس

- محمد أبو زيد (2006): المدونات العربية على الإنترنت .. صوت المعارضة الجديدة... اتخذها الكثير من المبدعين الشباب بديلا لحل أزمة النشر، صحيفة الشرق الأوسط، الصادر يوم 18 أكتوبر

- يمكن الإشارة على سبيل المثال إلى أن الكاتب عمر بوذيبة نشر روايته «قبر يهودي» كاملة وهي في مدونته، ولم يكتف و نشر معها قراءتين لها، بقلم الناقدين نبيل بوالسليو، ويوسف وغليسي- أنظر: الخير شوار (2009): الجزائريون يقتحمون المدونات ويسألون: لماذا نحن أكثر احتشاما من العرب الآخرين؟ صحيفة الحياة اللندنية، 30 أغسطس

- استعملت تستي نينا هذه العبارة في دراستها للشبكة الفيس بوك، أنظر:

Testut Nina: Facebook Et moi ! Et moi ! Et moi, édition Hoëbeke, France, 2009, p 47

- فتحية البلوشي (2009): سعد الهاشمي يدوّن ليبقى موجوداً.. ويكتب لعشاق الأدب الساخر، صحيفة الاتحاد الإماراتية 08 ديسمبر

- الصادق الحمامي (2008)، مصدر سبق ذكره

- Anne-Claire Orban :Je blogue, tu blogues, nous bloguons, Retrieved December 21,2010 from www.clemi.org/mediasscolaires/outils/article_blog_ACO.rtf

- نصر الدين لعياضي (2010): مقدمة في نقد التلفزيون، دار النشر، الأفاق المشرقة- ناشرون، الأردن، ص87

- Dominique Cardon, Hélène Delaunay -Teterel (2006) : la production de soi comme technique relationnelle. Un essai de typologie des blogs par leurs publics, Réseaux (Volume 24, (n°138, (p 1-60

- Dominique Cardon, Hélène Delaunay -Teterel (2006) ; Ibid.

- David Le Breton 2008)) : Anthropologie du corps et modernité, 5e édition, France, puf . p 120

- محمد أبو زيد (2006) : مصدر سابق.

- Cogito ergo sum جملة مستقاة من اللغة اللاتينية وظفها الفيلسوف رنيه ديكارت لتجسد فكرته : أنا أفكر إذا أنا موجود.

- الخير شوار (2008) : مصدر سابق

- لونهر أموندا (2008): مصدر سابق.

Pailler Fred (2004) : L'individu à l'épreuve d'Internet : l'exemple des pages persos à caractère - sexuel, In Actes de travaux du groupe de travail Sociologie de la communication , XVIIe con-.grès international des sociologues de langue française, Tours, 5-9 juillet

Quoted by Yann Leroux (2009): Jeux d'identités, retrieved October, 11,2010 from http://www. - psyetgeek.com/jeux-didentites

- حسن رشيق (2008) :العقلية المغربية.. بين التعميم والتخصيص، ترجمة عبد الله أوسار، صحيفة الاتحاد الاشتراكي، الصادرة يوم 10 مايو

-محمد بنيس (2009) :غوايةُ اليوْميَات، صحيفة القدس العربي الصادرة يوم 3 آذار.

- ناظم السيد (2007): السيرة الذاتية في الرواية العربية، معظم الروايات العربية سيّر مقنّعة! صحيفة القدس العربي، الصادرة يوم 30 يونيو

Mouriquand Jacques (1997) :L>écriture journalistique, P.U.F., coll. « Que sais-je ? » p 55 -

- في توظيفه لمصطلح « عولمة الشذوذ لا ينفي جزيف مسعد قط وجود الممارسات الشاذة في المجتمع المسلم عبر التاريخ، وأنها نتاج العولمة، بل يسعى إلى التمييز الدقيق بين وجود الممارسات الشاذة وعدم وجود شواذ، كيف؟ يؤكد مسعد، أن تاريخ المجتمعات المسلمة يثبت، بشكل قاطع، وجود أشخاص لديهم هذه الممارسات ولكنهم كانوا في الوقت نفسه يمارسون الجنس السوي.. وهذا بحد ذاته يجعلهم خارج إطار تعريف <الشاذ جنسيا>. أنظر: أحمد خيري العمري (2009): عولمة الشذوذ : الهوّية الممسوخة تبحث عن <غيفارا>.، صحيفة القدس العربي الصادر يوم 17 يونيو

- سرتن سرتن في أي مكان..صحراء ان كان أو بستان، مسترجعة بتاريخ 11/2/2011 من الموقع .http://www manalaa.net/a7a_department/airplane_wanker،

Alpozzo Marc: Les stratégies de pouvoir selon Michel Foucault, Retrieved December 21,2010 - from http://www.lekti-ecriture.com/contrefeux/Les-strategies-de-pouvoir-selon.html

- بورديو، بيير (1990): الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، ط2، الدار البيضاء: دار توبقال. ص 76

- مجموعة مدونات مصريات (2009): أنا أنثى، العدد الثالث من سلسلة مدونات مصرية للجيب، دار أكتب للنشر والتوزيع، مصر، 117 صفحة

Sadok Hammami(2011): Les médias au cœur de la révolution, Retrieved, february 11,2011 - from http://www.slateafrique.com/283/medias-revolution-tunisie-television-internet

Rouquette Sébastien (2008): Ibid : أنظر على سبيل المثال -

- أنظر، على سبيل المثال مدونة فيصل خميس (http://faisalkhamis.com). في عرضه لما قرأه، خاصة رواية الخميائي لباولو كويلو. والنقاش الذي دار حولها

- عبدالرحمن مصطفى (2006): حكايات شابات عربيات بين المدونات ، نشر بالمجلة الإلكترونية إيلاف يوم 21 سبتمبر مسترجع بتاريخ 21/12/2010 من الموقع: http://www.elaph.com/ElaphWeb/ ElaphGuys/2006/9/178349.html

- أنظر على سبيل المثال إلى المدونتين: www.suhail.ws، و http://rahmaalgerie.maktoobblog.com

- في الردود التي وردت على التدوينة المعنونة: عن التعليم والتي يناقش فيها المدون العلاقة بين الذكاء والتعليم والنجاح في الحياة، يلتقي تعليقا بعنوان: ثقافة الهزيمة.. أسكندرية ليه؟ يتحدث فيه عن إهمال السياحة في مدينة الإسكندرية رغم ما تزخر به من معالم تاريخية وأثرية! ولست أدري لماذا نشر المدون

هذا التعليق؟ أنظر: ثقافة الهزيمة.. أسكندرية ليه؟ مسترجع يتاريخ 11 فبراير 2011 من: http://fai-alkhamis.com/?p=818

- مصطفى سالم (2008): نشر بلا حدود لكن بخوف، دراسة مسحية للمدونات والتدوين، الرابطة العربية للثقافة، دبي. مسترجع بتاريخ 1 مايو 2009 من:-http://arabicos.blogspot.com/2009/02/blog-post_9043.html

- - المصدر ذاته

- أنظر تعليق يوسف السلفي على المقال الذي نشره العياشي عنصر بعنوان : « الحركات الاحتجاجية في الجزائر» يوم 11/2/2011 مسترجع بتاريخ 13/2/2011 من الموقع: http://www.aljazeera.net/NR/exeres/29B73D76-28F0-4DDA-8658-A718C7A7C7A1.htm

- محمد الحداد (2009) : قواعد التنوير، دار الطليعة، بيروت، ص 5

- هل خمدت ثورة التدوين؟ مسترجع بتاريخ 11/2/2008 من المدونة:

http://www.braineye.net/be/2010/03/11/%D9%87%D9%84-%D8%AE%D9%85%D8%AF%D8%AA-%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AF%D9%88%D9%8A%D9%86-/%D8%9F

Brigitte Le Grignou) 1996): Les perils du texte, retrieved, June ,30, 2008 from -
http://enssibal.enssib.fr/autres-sites/reseaux-cnet/80/06-legri.pdf

- مصطفى سالم (2008)، مرجع سابق

- عبد الرحمن مصطفى (2006): مصدر سابق

- الصادق الحمامي (2008)، مصدر سبق ذكره

Iannis Pledel: Les blogs, les promesses d'un média à travers ses représentations collectives -
: illusions ou réalités à portée de clic ?Retrieve, June 20,2011 from http://archivesic.ccsd.cnrs.fr/sic_00001750

Roland Barthes (1972) : Le Degré zéro de l>écriture, Seuil p. 125 -

-Béguin-Verbrugge Annette (2004): Métaphores et intégration sociale des technologies no - velles, Revue Communication et langages. N°141, 3ème trimestre pp. 83-93

- نذكر على سبيل المثال البيت التالي:: وما أبرئ نفسي إني بشر *** أسهو وأخطئ ما لم يحمني قدر. من مدونة كلمات.... في خضم المعاني التائهة، مسترجعة بتاريخ 13/2/2011 من الموقع: http://extrada.maktoobblog.com/

- نذكر على سبيل المثال: غمض عينينك.... وارقص بخفة ودلع.....الدنيا هي الشابة...وأنت الجدع. من مدونة غمض عينيك، مسترجعة بتاريخ 13/ 2/2011 من الموقع: http://samir-fun.blogspot.com/

- مقابلة مع المدونة يوم الاثنين أول نوفمبر 2010 على الساعة 11 بمقر كلية الإتصال، جامعة الشارقة- الإمارات العربية المتحدة

- أحمد ناجي: المدونات من البوست إلى التويت، الشركة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، يونيو 2010

- مدونة كلمات.... في خضم المعاني التائهة ، مسترجع بتاريخ 11/2/2011 من الموقع: http://extrada.maktoobblog.com/

- مدونة الزناري، مسترجعة بتاريخ 30/12/ 2010 من الموقع: http://elzenary.blogspot.com/